الاستلاب الإنساني في المنظومة الحداثية الغربية

مصطفى رافع
جامعة البويرة

الملخص:

تهدف هذه الدراســـة إلى الكشـــف عن العهر الحداثي من خلال الوقوف عند تمظهراته المختلفة، في ظل الحداثة المنفصـلة عن القيمة، هذه الحداثة التي كان طموحها هو الوصـول بالإنسـان لما فوق الإنسـانية، ليتبدّد هذا الوعد الحداثي ويتلاشـى هذا الطّموح المتمثّل في الرّقي في معارج السّمو الإنسـاني، ليجد الإنسـان نفسه بين مطرقة التّشيّؤ وسندان التّحَيْوُن يسعى جاهدا لاسترداد إنسانيته الضائعة والمتوارية وراء ترسبات هذا وغياهب ذاك.

الكلمات المفتاحية: القيم، الأخلاق، الحداثة، التشيؤ، الإنسانية.

Abstract:

This study aims to reveal the modernist prostitution by standing at its various manifestations. Under modernity being separate from value. This modernity, whose ambition was to take the human being beyond humanity. However this modernist awareness has vanished and the aspiration of progress in the ladder of human transcendence has also disappeared causing man to find himself between the hammer of reification and the anvil of animalization hidden behind the sediments of this and the absence of that.

Key words: *values, ethics, modernity, reification, humanity*.

1.مقدمة:

مثّلت القيم في حياة الإنسان –منذ الأزل- ومازالت حفظ التوازنات الحياتية، وتلك غاية سامية، فلولا تلك القيم التي تتأصـل في النفس الإنسـانية، وتجعل لحياته غاية سـامية ينشـد تحقيقها في ظل نواميس معيّنة سـواء أكانت ناتجة عن عقله أو متأثرة بتعاليم دينية، لما استطاعت الإنسانية أن تبلغ ما بلغته حتى يومنا هذا.

والقيم صـاحبت الإنسـان منذ الأزل وتطورت بتطوره، سواء التي اكتسـبها بوسـاطة الأديان السـماوية أو تلك التي اكتســـبها من الناموس العقلي الذي مُيّز به هذا الكائن الحي العاقل دون غيره من الكائنات الأخرى، وبذلك أصـبح يؤمن ببعضـها وقد يترك بعضـها الآخر إذا لم ينسـجم مع ميوله أو نزعاته ونزواته أحياناً، أو لعدم قدرته على تطبيقها لسبب أو لآخر أحياناً أخرى، ومن هذا التأرجح في التَّعامل مع القيم، وظّف الإنسان عقله توظيفاً متعددة ضـروبه ونشـاطاته لمعرفة الذات الإنسـانية وحقائق الوجود عامة، وهكذا تكوّنت لديه قيم ومفاهيم لهذا الكون، سرعان ما ترسخت في ذهنه، وأصبحت شيئاً ضرورياً لحفظ توازنه وبقائه وتجنيبه شرّ الفناء والتلاشي، فالقيم تنشأ لتمثل المؤشرات التي تتضافر لحماية الإنسان من الانحلال والانحدار في مستنقع الحيوانية.

فمن تلك القيم التي سـادت في عصـور خالية ما يبدو لنا –في عصـرنا الحديث مثلاً- شـيئاً غير ذي بال بالنظر إلى اختلاف وُجهات النظر الحياتية في عصـــر تعددت مشـــاربه وكثرت تعقيداته، وتنوعت أحداثه وملابساته، وتشابكت تناقضاته، ولكنّ هناك قيماً مازالت باقية بحكم انسجامها وتماشيها مع أصل هذا الكائن الذي وهبه الله عقلاً وعاطفة يؤثر كل منهما في الآخر، وليسـت الغاية من وراء هذا الحكم أن الإنسـان يتقبّل

قيماً ويرفض أخرى بناء على مزاج خاص، ولكن التطور الإنساني وتعاقب الحضارات يجعل بعض القيم نسبية، وبعضها الآخر ثابتاً وفق انسجامها أو تناقضها مع تطلعات هذا الإنسان وطموحاته غير المحدودة.

وفي ضوء ما سبق، تبدو القيم نسبية، وهذه النسبية ليست في القيمة –في حد ذاتها- ولكن في وجهة النظر حول هذه القيمة أو تلك، هذه النسبوية القائمة على أن كل الممارسات الخاصة يجب أن تفهم وتقوم ضمن سياق ثقافة ما، وهي تنكر محاولة الحكم بشأن ثقافة بقيم ثقافة أخرى، كما أن مقدمتها المنطقية هي كل شيء نسبي، فما تقول إنه خير هو خير بالنسبة إلى مفهومك للخير وهو لا يلزمني ، وما تراه واجبا إنما هو واجب حسب ثقافتك لا ثقافتي، وما كنت أراه سيئا بالنسبة على منظومة قيم لم أعد أعتقد بها الآن وهكذا[1].

وتتأسس هذه الدراسة على إشكاليات هي:

ـ هل بإمكان الإنسان استعادة ما هيته المستلبة واسترداد إنسانيته المتوارية وراء ترسبات التشيؤ والتحيون؟

ـ وعن أي إنسانية نتحدث؛ إنسانية الأنا أم إنسانية الآخر؟ أم إنسانية الكائن الذي كان أصله قردا؟

ـ وهل بإمكان الإنسان إعلان ثورة مضادة لتشيّئه وتحَيوُنه واستعادته لمنظومته القيمية والأخلاقية؟

ـــ ثم ما مفهوم التشيؤ؟ وما هي أسباب ظهوره ؟ وما هي الأخطار المحدقة بالإنسان جراء ظهوره؟ ولم هذا التوجس منه؟

2.القيم الإنسانية: المفهوم والأزمة:

القيمة هي مصدر المشروعية ومرجعية المعنى إذ هي تشكل الحافز والملهم أو الموجه والناظم أو النموذج والمعيار، ولا تستقيم حياة للمرء من دون قيم يتعلق بها، لا بناء ولا قيام إلا بسلم للقيم البديل عنه هو الفوضى أو العبث أو الهمجية[2]، وليست القيمة بحدِّ ذاتها شيئا مجردا مستقلا في ذاته بعيدا عن سلوك الإنسان؛ وإنما هي مندمجة بطبيعة الحال في السلوك الإنساني برمته، بحيث يمكن أن نتّخذ من سلوك فرد ما دليلا على القيمة التي يؤمن بها. فالإنسان يمكن اعتباره على الدوام "حامل قيمة تتجلّى في أعماله كافة، والقيم ليست اليوم على ما يرام والشواهد ناطقة كما تشير الكتابات والدراسات حول العدمية والبربرية، ومن هنا باتت القيم موضع تساؤل، ومبعث التساؤل أن ما تعيش عليه البشرية من منظومات القيم يكاد يتصدع تحت وقع الانفجارات والثورات والتحولات المتسارعة على مختلف المستويات التقنية والثقافية والمعرفية والسياسية والاجتماعية.

ومع انبلاج فجر العالم الحديث بمركزيته البشرية وعقلانيته النقدية وثوراته التحررية، تغيرت مرجعيات المعنى وعناوين الوجود وقيم الأشياء والأعمال، ومن مظاهر هذا التغير الانتقال من الثنائيات القديمة: كالخير والشر، أو الإيمان والكفر، أو الكمال والنقص، أو العدل والظلم، إلى ثنائيات جديدة: كالتقدم والتخلف، أو الديمقراطية والاستبداد، ، أو الرأسمالية والاشتراكية، أو الدين والعلمانية...

وإذا كانت القيم في أزمة، فالأزمة هي بنيوية وشاملة، هي بنيوية لأنها لا تقتصر على الأدوات والوسائل، وإنما تمس المبادئ والمقاصد، كما تتمثل في العناوين الوجودية والمطالب الحضارية، سواء ما تعلق بالله والدين والإيمان، أو بالعقل والتقدم والإنسان، وشاملة لأنها تطال مختلف المجتمعات.

ومما لا شك فيه أن المجتمع الإنساني قد بلغ شأوا بعيدا ومستويات عالية في العلم والتكنولوجيا، ليشهد العالم تغيرا في التصورات والقيم الأخلاقية والفنية، هذا الشأو البعيد الذي بلغه الإنسان جعله يشعر بالرهبة التي هي خوف الإنسان على حريته وإحساسه بتضاؤل قوته إزاء قوة الآلة، فالتكنولوجيا بما حققته في ميدان الطبيعة من إنجازات هائلة قد أظهرت له قوة شامخة تهدد حريته كما تهدد إنسانيته، ذلك أنه السيد الذي أبدع الآلة، فهل يمكن أن يكون عبدا لها، وهل يمكن لهذه التكنولوجيا ومتطلباتها الثقافية أن تهدد قيمه الروحية؟[3]، وعليه كانت الحداثة ولا تزال نتاج مجموعة متداخلة من الإفرازات والمتغيرات التي طرأت وتطرأ على الصعيد الحياتي والاجتماعي حيث ارتبط مفهوم الحداثة بقيام الثورة التكنولوجية، ثم إن الحداثة تحمل في تكوينها وفي أحشائها وبدون توقف ما بعد حداثتها[4].

ومن هنا أصبحت القضية المحورية الأولى التي يجاهد الإنسان في سبيلها في هذا العصر المؤتقن هي إنسانيته وموقعه الوجودي في ظل الحداثة التي تسلبه الجوهر وتعيد تصنيعه بما يتلاءم معها.

3.الحداثة من تأليه الإنسان إلى اغتيال الإنسانية ومن تأليه الأشياء إلى تشييء الإنسان:

لقد تشكلت الحداثة ببروز الإنسان كفاعل بشري وحيد على المسرح الكوني، فتشكلت كموقف نقدي من العقائد والمذاهب[5]، فهي ليست مفهوما اجتماعيا أو تاريخيا أو سياسيا وإنما هي نمط حضاري يتميز ويتعارض مع التقاليد، كما أنها ليست قوانين خاصة، وإنما هناك ملامح عامة تدعو إلى التجديد والتغير في مقابل التقليد والمحافظة[6]، كما أن الحداثة تتميز بخاصية الوعي بضرورة تجاوز تفاسير الماضي ومفاهيمه والسعي المستمر نحو استمرار هذا التجاوز في المستقبل[7]، ويرى هابرماس أن الحداثة مفهوم يعبر عن وعي عصر، يحدد نفسه بعلاقاته بماضي العصور القديمة ويفهم ذاته نتيجة انتقاله من القديم إلى الحديث[8].

ويمكن القول إن الحداثة ظهرت في بداية مرحلة النهضة ومرحلة التنوير، فالحداثة في عصر النهضة أصبحت واقعا مغايرا للعصر الوسيط وموقفا جديدا من مختلف مناحي الحياة والمجتمع، وهناك من يرى أن الحداثة ترد في نشأتها إلى فلاسفة العصر الحديث مثل الفيلسوفين الإنجليزيين بيكون ولوك، والفيلسوف الفرنسي ديكارت، والفيلسوف الألماني كانط.

لقد أصبحت الحداثة تتصدر القضايا الرئيسية في المجالات الفلسفية في نهاية القرن الثامن عشر مع كانط وهيجل الذي طرح الحداثة باعتبارها قضية فلسفية تعبر عن تساؤل واحتجاج، تساؤل عن الممكن واحتجاج على السائد، فالحداثة مذهب فكري يتمرد على الواقع الاجتماعي[9].

هذا ولقد بدأت الحداثة قصتها بادعاء الإعلاء من شأن الإنسان، إذ وضعت الإنسان في مركز الكون وتبنت منظومات أخلاقية مطلقة تنبع من الإنسان باعتباره كائنا متميزا عن الطبيعة/ المادة له معياريته ومرجعيته وغائيته الإنسانية المستقلة عنها، هذه الرؤية التي تطورت من خلال النسق المادي الذي يساوي بين الإنسان والطبيعة ومن خلال تصاعد سعرات العلمنة والترشيد الذي يعني بأن الإنسان سيعرف وأن المعرفة ستتراكم، والتراكم يؤدي إلى تقدم والتقدم يؤدي إلى سعادة، وانفصال العلم عن القيم وانفصال مجالات النشاط الإنساني عن المعيارية والغائية الإنسانية، فقد الإنسان مركزيته وأسبقيته على الطبيعة/ المادة، ليتحول إلى جزء لا يتجزأ منها، وأصبح هو الآخر مادة من دون مرجعية ولا غاية إنسانية، بعدما كانت مهمة الحداثة إطلاق

حرية التحقق والاختيار الإنساني من أسر الغيب وعدم الثقة وغياب اليقين في القدرة على سيطرة الإنسان على هذا العالم، وإخضاع الطبيعة بالعلوم، وإخراج المرء من القفص الحديدي للتقاليد، لتكون الحداثة بذلك قد بدأت بإعلاء الإنسان وانتهت إلى القضاء عليه.

إن في عالم الحداثة لا يوجد شكل مفهوم، إذ يفقد الإنسان ما يميزه كإنسان، ويتساوى الرجل مع الشيء، بل تتحرر الأشياء من الإنسان وتسيطر عليه[10]. وقد طرح جورج لوكاش مفهوم التشيؤ[11] للتأكيد على أن المجتمع الرأسمالي يحول البشر إلى أشياء ارتباطا باتساع صنمية السلع لتشمل الوعي الإنساني والمجتمع، ثم إن ضياع الإنسان وفقدانه لإنسانيته وتحويله إلى بضاعة، حيث ينظر إليه كآلة منتجة أو مستهلكة من طرف اقتصاد الربح هو ما دفع لوكاتش إلى الحكم على الإنسان الحديث بأنه تحول إلى شيء، أي أن العلاقات الرأسمالية أسقطته في حالة التشيؤ، وحين أصبح الإنسان شيئا سقط من مستوى الكائن الاجتماعي إلى مستوى الكائن المتوحد المنفرد، إذ تجمدت العلاقات الاجتماعية وغاب الوجود البشري. ويؤكد إيريك فروم في كتابه " كينونة الإنسان " أنّ المجتمعات الرأسمالية حولّت الإنسان المعاصر إلى مستهلك أبدي، وهكذا مات الإنسان روحياً وعاشت الأشياء، وهذا الموت الروحي للإنسان يظلّ الخطر الأكبر على البشرية، مما يجعل الإنسان يحس بانتفاء المعنى، إلى حدّ أنّه يصبح كارهاً للحياة، ويجب علاج جذر المشكلة من خلال إعادة إحساس الإنسان بإنسانيته وبأنه لم يتشيأ، ومن خلال الكشف عن جوهر الإنسان الذي توارى خلف ترسبات التشيؤ، الذي يعني تراجع الجوهر الإنساني لصالح غير الإنساني (الآلة، الدولة ، السوق، القوة)، أو شيء أحادي البعد(الجسد، الجنس، اللذة)[12]، وكما عرفه لوكاتش بأنه تحول الصفات الإنسانية إلى أشياء جامدة واتخاذها لوجود مستقل، واكتسابها لصفات غامضة غير إنسانية، ومن هنا أصبح الإنسان لا يشعر بوجوده الحقيقي، ولا يشعر بإبداعه وقيمته الحقيقية، كما أصبح كيان الإنسان مهدداً باستمرار رغم هذا التقدّم العلمي والتكنولوجي، فالتقدّم العلمي والتكنولوجي ألقى بظلاله على كلّ شيء، حتى على العلاقات الاجتماعية، ومن هنا شعر الإنسان بالاغتراب والبعد عن ذاته.

4.الإنسان بين مطرقة التّشيِيء وسندان التّحوِين:

جاء في كلمة المترجم حجاج أبو جبر لكتاب الحداثة السائلة لباومان حكاية البطل أوديسيوس ورفاقه وكيف سحرت سيرسي رفاق أوديسيوس وحولتهم بسحرها إلى خنازير، وكيف حزن أوديسيوس لذلك وبذل كل ما بوسعه ليجد الترياق الذي يعيد رفاقه (الخنازير) إلى هيأتهم البشرية، ويحررهم من عيشة الخنازير، بيد أن رفاق أوديسيوس بعد أن اعتادوا حياة الخنازير، أبوا أن يأخذوا الترياق وفروا منه، وعندما أمسك بأحد رفاقه الخنازير نهره ر فيقه الخنزير، وعاتبه على محاولته تحريره ورفاقه من عيشتهم الحيوانية، وأخذ يمتدح العيشة البهيمية، فهي عيشة تتلذذ فيها الخنازير بما لذ وطاب، وتتمرغ في الوحل بلا مسؤولية متى تشاء، وتأكل وتشرب بلا هموم أخلاقية ولا التزامات اجتماعية، وتلذذ بعلاقات جنسية لاتعرف الحب ولا الواجبات والمسؤوليات السرية ولا الروابط الاجتماعية، وتعيش في وهم استقرار لا يحمل هموم الكرامة الإنسانية، بل في استقرار لا يطيق صوت الإنسانية والتزاماتها ومسؤولياتها[13]، هذه حكاية هي غاية في الرمزية لملامستها أعطاب الحداثة وكشفها عن ذلك التأكسد القيمي الذي أصاب الإنسان الذي تم تأليهه، وتعظيم إنسانيته

والتسبيح بحمدها التي لا يحسن إلا انتهاكها، هذا السحر السيرسي الذي ما هو في الحقيقة إلا حصيلة المركزية البشرية.

إن العالم اليوم الذي يعيشه إنسان هذا العصر هو عالم لا يصلح للإنسان ولا لنمو إنسانيته، بل هو عالم يعمل على حيونة الإنسان (أي تحويله إلى حيوان)، ومن هنا نصبح نتلمس حجم خسائرنا في مسيرتنا الإنسانية ، وهي خسائر متراكمة ومستمرة، وستنتهي بنا إلى أن نصبح مخلوقات من نوع آخر كان اسمه الإنسان، أو كان يطمح إلى أن يكون إنسانا، ومن دون أن يعني هذا بالضرورة تغيرا في شكله، إن هذا التغير الأكثر خطورة هو الذي جرى في بنيته الداخلية والنفسية[14]، نحن إذن في عصر يعلن تخليه على مشروع "سيادة الإنسان"، ويطرح تصورا يختزل الإنسان في اعتباره مجرّد امتداد طبيعي و بيولوجي، هذا الاختزال للإنساني فيما هو حيواني و مادي قد سلب الإنسان تنوّعه و تعدّده ، حيث اختزل الإنسان في بعد واحد وهو البعد الحيواني مقابل التخلي عن الجانب القيمي والأخلاقي، وكأنّنا أمام وضع فلسفي شديد الاختلاف أتقن فيه التقدّم العلمي بناء الأشياء ولكنّه فشل في بناء الإنسان المعنى والحرية والغاية.

إن الإنسان يتردد متأرجحا بين منازل مختلفة، فمن الناس من لا يختلف كثيرا عن الحيوان، ومنهم من يبقى طوال حياته يتخبط في البهيمية إحساسا وشعورا وتصورا وحياة ومسؤولية، ومنهم من يرتفع عن ذلك درجة أو درجات، ومنهم من قد يصل في الارتفاع إلى أن يشرف على أفق عالم الملائكة أو عالم الآلهة[15].

وإنه مع دخول عصر الحداثة شكّل فصلُ القيم عن السلطة الدينية وتأسيس قيم دنيوية مرجعها العقل ومعيارها الإنسان نقطة انعطاف خطيرة في منحنى دالة المنظومة القيمية، حيث نلحظ تواري قيم وبروز قيم جديدة تشكل خطرا على الجهاز المناعي القيمي للإنسان وذلك كالرغبة والجنس والشبقية والشذوذ والمثلية، إن انتفاضة طلاب ثورة ماي 1968 في فرنسا، ما هي إلا ثورة جنسية رفعت شعارات تروم هدم كل الطابوهات وتحقيق اللذة من قبيل "الحق في المتعة" و "المتعة بلا حدود" و"يمنع المنع" و "كلما مارست الحب، كلما أردت أن تقوم بالثورة" و"مارسوا الحب لا الحرب..."، وفي هذا يقول تيري إيجلتون: " لقد تم اختزال الكون في الإنسان، وتم اختزال الإنسان في الجسد، وتم اختزال الجسد في الأعضاء التناسلية".

هذا التردي في الوضع البشري هو خروج عن القيم وانتهاك صارخ للمثل الإنسانية والمبادئ الخلقية، ليجد الإنسان نفسه غارقا في الدناءة والخسة والعهر والفحش فضلا عن التوحش والهمجية والبربرية، إن العهر والخلاعة والفحش ليست أعمالا حيوانية وإنما هي صناعة إنسانية يتقنها البشر بأهوائهم ومطامعهم وجشعهم[16].

ومن مظاهر العهر الحداثي والعبث بالقيم محاولة توظيف القيم الإنسانية والأخلاقية من أجل الاستهلاك، حيث هناك إعلانات تحاول أن تدخل للمستهلك من مدخل القيم بحيث تحاول استخدام استخدام قيم مثل الترابط العائلي، ولننظر ما يحدث في بعض الأعياد مثل عيد الأمهات[17].

لقد كان لدى الإنسان حلم جميل حول نفسه، وكان يصبو إلى السمو على شرطه الإنساني، ولكنّ تتالي الأحوال فتح في هذا الحلم جرحا وبدأ الحلم ينزف ويضمحل، وراح يتخذ مع ضموره أشكالا وتسميات، وبين

حين وآخر ينتبه الإنسان إلى خسارته الفاجعة هذه، فيدرك أنه صار يجهد لمنع نفسه من الانحدار عن مستواه الإنساني إلى مستوى الحيوان[18].

إن المجتمع الصّناعي قد نجح في استبدال الهوّية العقلانية بأخرى حيوانية من خلال اختزال إنسانية الإنسان و ردّها إلى بعد واحد، وهو إرضاء الحاجيات أو الاستهلاك، وهذا ما مثلته الحداثة السائلة التي قامت على منطق الاستهلاك للمكان والقيم والأشياء وما أبلغ قول ذلك العام المختص في مجال التطور الذي سئل عما إذا كان تم العثور على الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد فأجاب بتهكم سقراطي: كنا نبحث خطأ، ذلك أن الحلقة المفقودة هي نحن بالذات[19]، وفي الوقت الذي تغلّبَ فيه الإنسان بجدارة على الطبيعة أطلقَ المارد من قمقمه فأخذته عزة الخلق بالإثم، وكبرياء الإبداع بالجهالة، ونمت قدراته المادية على حساب إيمانه الروحيّ، بعد أن أوقعت الآلة/الفخ في شراكها الإنسان المعاصر. بمعنى آخر: لقد اصطادت الآلةُ ربّها! وجعلت فريستها الإنسان حتّى غدت أزمته هي أزمة الآلة التي اخترعها لتحل محلّه وتقوم نيابة عنه بكافة الأشياء التي من المفترض أن يقوم بها بنفسه، ونتيجة لذلك أصيبت القيم الأخلاقية في مقتل، كما أن أحدا لا ينكر حقيقة أنّ التقدم التقنيّ الهائل يُيسِّر رفاه الإنسان من الناحية المادية، لكنه – في الوقت ذاته- يُشكِّلُ عامل ضغط مستمر على منظومة قيمِه وحياته الروحية.

يذكر إيريك فروم في كتابه " الإنسان من أجل ذاته " أن مشكلتنا الأخلاقية هي عدم مبالاة الإنسان بنفسه، إنها تكمن أساسا في أننا قد فقدنا الإحساس بأهمية الفرد وفرادته، وأننا جعلنا أنفسنا أدوات لمقاصد خارج ذواتنا، أننا نَخبُر أنفسنا ونعاملها على أنها سلع، وأن قدراتنا قد أصبحت مغتربة عن أنفسنا، أصبحنا أشياء وأصبح جيراننا أشياء، والنتيجة هي أننا نشعر بالعجز ونحتقر أنفسنا، فليس لدينا إيمان بالإنسان، وليس لنا ضمير بالمعنى الإنساني، نحن قطيع يعتقد أن الدرب الذي يتبعه لا بد أن يفضي على غاية ما دمنا نرى كل شخص غيرنا على الدرب نفسه[20].

إن الحضارة الغربية كما يقول المسيري ربما تكون قد بدأت بإعلان موت الإله باسم الإنسان ومركزيته، ولكنها انتهت بإزاحة الإنسان عن المركز لتحل محله مجموعة من المطلقات والثوابت المادية مثل المنفعة المادية، التقدم، و معدلات الإنتاج، اللذة الجنسية، مطلقات أو ثوابت يتم اختزال الإنسان المركب إليها، وبهذا يصبح النموذج المادي الذي يؤمن بأن المادة هي الأصل والمحرك الأساسي للكون هو النموذج المهيمن على الحضارة الغربية[21]، وهذا ما مثلته الحداثة الصلبة التي سعت إلى اختزال الغيب، وللهيمنة على العالم والسعي لليقين المادي المنبني على زعم القدرة على التحكم.

5. خاتمة:

وفي ظلّ التغيير الذي أحدثته الحداثة في مقومات العيش الإنساني، وتبدل ملامح المجتمع البشري، وتشظي أنساقه الأخلاقية، أصبح السعي نحو أُديسيوسيّة جديدة أمرا ملحا وإن كانت تعترضه كثيرٌ من العراقيل خاصة وسط ترويج أوهام المتعة، وتحوّل الأخلاق والقيم إلى وجهة نظر، وأثناء سعينا قدما نحو أوديسيوسية جديدة لا بد أن نبدأ ونتوقف عند قول صاحب كتاب الإنسان ذلك المجهول ألكسيس كاريل:" يجب أن يعيد الإنسان صياغة نفسه حتى يستطيع التقدم ثانية، ولكنه لا يستطيع صياغة نفسه دون أن يتعذب، لأنه الرّخام والنّحّات

في وقت واحد[22] "، ذلك أن من المفارقات أن أزمة القيم كما يقول علي حرب في كتابه تواطؤ الأضداد تترافق مع التقدم الهائل والتطور المذهل في العلوم والتقنيات بتداعياتها المضـــرة والخطيرة والمفزعة على الإنســـان، وبهذا يظهر لنا مأزق الحداثة من خلال نقل إنسـان التنوير من صـلابة العقلانية إلى سـيولة الرشـد وبالتالي سيولة مفهوم الإنسان نفسه، كما ننبه أن العلاج الفعّال لهذا الهزال القيمي لا يكمن على الإطلاق في شجب التقدم الصناعي والتقني، ولكن بجعل هذا كله في وصاية القيمة الإنسانية والإيمان بالإنسان عقلا وقلبا.

6. الهوامش:

[1] إيريك فروم، الإنسان من أجل ذاته، تر محمود منقذ الهاشمي، ط1، 2007، ص 9، 10.

[2] علي حرب، تواطؤ الأضداد، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م، ص 33.

[3] أميرة حلمي مطر،عن القيم والعقل في الفلسفة والحضارة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ص 56.

[4] جان فرانسوا ليوتار، في معنى ما بعد الحداثة، تر: السعيد لبيب، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2016، ص 71.

[5] علي حرب، تواطؤ الأضداد، مرجع سابق، ص 64، 65.

[6] أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورجين هابرماس/ الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2012، ص71.

[7] المرجع نفسه، ص 73.

[8] محمد علي شمس الدين، حركة الحداثة إلى أين؟ مجلة كتابات معاصرة، بيروت، العدد 11، 1991، ص35.

[9] أبو النور حمدي أبو النور حسن، هابرماس/ الأخلاق والتواصل، ص 73.

[10] عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، ط1، دار الفكر، دمشق، 2003، ص 13.

[11] ينظر: جورج لوكاتش، الوعي الطبقي للتاريخ، تر: حنا الشاعر، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان، 1982، ص 79 وما بعدها.

[12] عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق ص 15.

[13] زيغمونت باومان، الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ص 8، 9.

[14] ممدوح عدوان، حيونة الإنسان، ط2، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، سوريا، ص 10.

[15] المرجع نفسه، ص11.

[16] علي حرب، الإنسان الأدنى، ط2، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص25.

[17] عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، ط1، دار الفكر، دمشق، 2013، ص288.

[18] ممدوح عدوان حيونة الإنسان، مرجع سابق، ص11.

[19] علي حرب، الإنسان الأدنى، مرجع سابق، ص 186.

[20] إيريك فروم، الإنسان من أجل ذاته، مرجع سابق، ص 275، 276.

[21] عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 14، 16.

[22] ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تر: شفيق اسعد فريد، ط3، مكتبة المعارف، بيروت، 1980، ص 312.